الكوليرا أو الهيضة

الدكتور ابراهيم الشماع من شبابنا الممتازين الذين اكملوا دراستهم في الطب في الخارج ، وقد حصل على شهادة الدكتوراه في الطب من جامعات المانيا ومارس عمله في مستشفياتها ثلاث سنوات — من سنوات الحرب الاخيرة — وفيما يلي القسم الاول من حديثه عن وباء الكوليرا أو الهيضة وقد خص به مجلة البيان فالبيان وهي إذ تنشره له شاكرة ، ترجوان يواصل الدكتور نشر أبحاثه العلمية فيها ..

(البيان)

لقد استفحل وباء الكوليرا في مصر الشقيقه واصبح من الخطورة بمكان كبير حتى اصبح الشغل الشاغل لأفكار الناس في كل مكان ، وهذا ماحدا بنا الى التحدث عنه فضلا عما قيل . مستهدفين توجيه الاذهان الى مدى الخطر الذي يهددنا في الوقت الحاضر لاسيما وقد تواردت الانباء المحزنه علينا وياللاسف من أن رسله قد وصلت الى قطر عربي متاخم لنا .

الكوليرا والهيضه او مايسمى بالهواء الاصفر ولقد سمي بهذا الاسم نظراً لانتشاره كما كان يعتقد عن طريق الهواء وموطنه الاصلي بلاد الهند ، ولا بأس من ان نعطي صورة عن تأريخ هذا المرض ونحن بصدد الكلام عنه الان قبل البدء بوصفه وكيفية انتشاره وطرق الوقاية والعلاج لقد مرت مئات من السنين دون ان يفكر احد بصورة جديه عن ذلك المرض المنتشر في اواسط الهند . لقد اعتاده الناس فهو يظهر ويختفي وفي خلال ذلك يفعل مايشاء بالذين يصيبهم ويحصد منهم دون حساب. كان القوم في تلك المناطق يتصورونه نتيجة لغضب الآلهه عليهم ليس غير . الا ان الذي كان يبعث الحيرة والجزع في النفوس أولئك الضحايا الابرياء من الاطفال الذين لم يعرف سبب غضب الآلهه عليهم ولاول مرة في التأريخ يخرج هذا الوباء من معقله بلاد الهند سنة ١٨١٧ متوجهاً صوب بلاد الغرب عابراً الاطلنتك نحو شمال أمريكا فاطراف المعمورة عن طريق روسيا فقد كان ذلك في خريف ١٨٣٠ حيث ظهرت آثاره في هذا التأريخ مرة واحده في موسكو وكان عدد نفوسها يومئذ ٢٥٠,٠٠٠ وبنتيجة تفشي الوباء وتمركزه قضى على ٤٥٧٣ نسمة منهم خلال مدة اربعة اشهور . غير انه لم يعرف اي شيء عن مدى انتشار الكوليرا قبل عام ١٨١٧ لافي الهند ولا الجهات الاخرى .

وفي شباط ١٨٣٠ وصل في حملته الى وارشواء في مايس ١٨٣١ تم له اختراق حدود المانيا الشرقية . غير انه طاب له المكان واعجبه التمركز في القسم الشرقي من البلاد الالمانيه وفي فترات من السنين قليله قضى على ١٠٠ / ٤٠٠ نسمه من الالمان .

ثم يقفز قفزة اخرى في عام ١٨٤٨ من البلاد الهنديه الى الغرب ويصل المانيا حيث يفتك في عدد يبلغ ٣٥٧ / ٢٦ نسمه وبعد هذا بعشر سنوات بلغ عددا المصابين في المانيا الشرقية ٣٥٠,٠٠٠ نسمه قضى نحبه منهم ١٨٠,٦٠٠ نسمه ثم ظهر للمرة الثالثه عام ١٨٦٣ في الهند واوربا كذلك ولقد كتب احد علماء الالمان الاستاذ مايدراتش في عام ١٨٩٧ قائلا بأن الكوليرا قد انتقلت بواسطة الجيوش البروسيه في مملكة سكسونيا الالمانيه الى مناطق الميرن في جيكوسلفاكيه وان هذه هي السبب في تثبيت اقدامه في تلك المناطق وقد بلغت عدد الاصابات خلال شهري تموز وآب من عام ١٨٦٦ — ٩٨٥ ، ٥٧ نسمه وهذا يبلغ ٢١ ٠/. بالنسبة الى جيشنا ومن جيكوسلوفاكيه انتقل الى النمسا بواسطة الجيش البروسي ايضاً . توفي منهم على اثر اضع الاشكال عدد غير قليل. ان هذا الوباء الخطير هو الذي الجأ بسمارك الى التعجيل في انهاء الحرب مع النمسا في عام ١٨٦٦ وطلب الصلح . . .

وقد دلت الاحصاءات على مجموع ضحايا الالمان بتأثير خطر هذا الوباء من جراء حملته الثالثه ٥٠٠ ، ١٦٥ نسمة وكان السبب في انتشاره في النمسا ذلك المعرض العالمي الذي أقيم هناك وصار كعبة القصاد ، ولا يزال المتقدمون في السن من اهالي هامبرغ الالمانيه اليوم يذكرون هجومه المباغت على مدينتهم

قبل ٦٠ عاماً ، بلوعة ومراره وتراهم يرتعدون خوفاً اذا ماتذكروا تلك المجزره التي ذهبت بالالاف المؤلفه من البشر لقد تكدست الاف الجثث هنا وهناك وقد قضت فيها بعد اصابتها بساعات قلائل . . .

وتأريخ هذا الوباء في روسيا كان قد اظهره للعيان العالم الروسي او شانكيلسكي في مدينة بطر سبرغ بتقرير مفصل كتبه تحت عنوان تسعون عاما للكوليرا في روسيا ١٨٣٠-١٩٢١ وفيه وصف الويلات والفواجع التي مرت على تلك البلاد وما فعله هذا الوباء في البلاد الروسية التي قد وجد فيها المرتع الخصب وكل العوامل التي تساعده على النمو والازدهار فهو بالاضافة الى العوامل الطبيعية وجد امامه التدهور الصحي والاقتصادي والاجتماعي فصار في هذه الحاله كالذئب الجائع بين قطيع من الحملان يفترس مايشاء . فجاب اكثر المقاطعات الروسيه بما فيها اكبر المدن الصناعيه والتجارية المكتضه بالسكان وقتذاك وفي شهور عديده من بدء دخوله بلغ عدد المصابين الالاف المؤلفه وكذلك الوفيات .

لقداستولت الحيرة والذهول على افراد الشعب الروسي منهم لم يعرفوا سبباً لهذا الوباء الفتاك الذي صار يقضي على الالوف المؤلفه من النفوس الفقيره الضعيفه . . . غلت النفوس وثارت ثائرتها معتقدة ان الحكومه والطبقه المتنفذه هي التي سلطت هذه الافه على هؤلاء متعمدة متقصدة . . فانفجر بركان ثورة الشعب وتوجهت الجموع صوب بنايات الحكومه والمستشفيات ودكوا جمع مايصادفهم منها معتقدين ان هذه البنايات والمستشفيات ماهي الا مصدر لشقائهم وتعاستهم كما قضوا على الاطباء ورجال الحكومة . فتدخل الجيش وزاد في في الطنبور نغمة حيث دارت رحى معارك دامية بين الشعب والجيش ذهب ضحيتها عدد كبير من الاهلين زيادة على ماذهب بتأثير الوباء الخطير . وهكذا تتابعت الويلات على روسيا بتأثير الوباء الذي صار يظهر بين الحين والحين ويختفي ليستعيد قواه .

وآخر مرة ظهر فيها بصورة واسعه في الحرب العالميه الاولى ١٩١٤ — ١٩١٩ ثم اختفى في اكثر اقسام القاره الاوربيه وعلى العموم لم تكن هنالك تقارير مضبوطه عن عدد الاصابات الحقيقيه في روسيا وسبب ذلك عدم وجود مراكز صحيه حكوميه تعتني بهذا الجانب العنايه المطلوبه كما هي الحال في باقي دول اوربه المتدينة . غير ان شيئاً واحدا قابل هذا الوباء الا وهو القوة المعنويه التي يتمتع بها الشعب الروسي رغم ماعاناه من حراجة الظروف الاقتصاديه والاجتماعيه والصحيه التي مرت عليه تلك القوة التي كانت في اقامة صرحه وكيانه

ولنعد الآن بمناسبة تفشي هذا الوباء في بلاد مصر الشقيقه الى البحث عن تأريخ انتقاله اليها .

ففي عام ١٨٨٢ ولاول مرة ينفجر هذا الوباء فجأة في مصر واخذ يجرف امامه مايصادفه من افراد الشعب فماتر ايام الا ونجده قد فتك في البلاد المصريه فتكاد ذريعاً وهنا وقفت الدول الاوربيه عن بكرة ابيها للحيلوله دون تمادى هذا الوباء في فتكه والقضاء عليه خشية تسرب العدوى لبلدان الابيض المتوسط واوربا .. فتسابقت فيما بينها في ارسال البعثات الصحيه للبحث والتنقيب لمعرفة اسبابه والوقوف دونه وكانت اول بعثة وصلت مصر هي البعثة الافرنسيه يوم ١٥ آب ١٨٨٣ غير انها آبت الى بلادها دون ان تظفر بشيء من معرفة كنه هذا الوباء اومعرفة اشياء أخرى عنه .

وفي الوقت نفسه تصل بعثة انكليزية مؤلفه من اثنى عشر طبيباً غير انها هي الاخرى التى باءت بالخيبه .

وكما قامت هذه الدول بهذا العمل قامت المانيا ايضاً فارسلت بعثة يرأسها العالم الالماني روبرت كوخ مكتشف مكروب السل غير انها قد توقفت في عملها حيث قد توصلت الى رؤية المكروب واثباته في اثنى عشر فريداً من الاحياء وعشرة من الاموات ولقد كان لهذا العمل ، صدى كبير في انحاء العالم وقتذاك الامر الذي حفز هذا العالم لشد الرحال صحبة اعوانه الى الهند موطن الوباء الاصلي لعله يقف على اشياء جديده عنه فشد اليها الرحال ووصل الى كلكتا وتمكن من رؤية المكروب نفسه الذي رآه في مصر . ولقد كان اكتشاف مكروب هذا الوباء من قبل هذا العالم مدعاة لتهافت علماء العالم على الاستمرار على دراسته علهم يتوفقون لايجاد المصول الواقيه منه وفضلا عن اكتشاف بعض المصول من قبل بعض العلماء كالعالم الاسباني فيران لكنها لم تنجح ولم تحقق الغايه المتوخاه وبعد ان جرب الطبيب الاسباني فيران مصله بعشر سنوات تمكن

الطبيب الانكليزي هافر كاين من ايجاد مصل جديد طعم به ٤٠٠٠٠ نسمه من الهنود لقد استخرجه من مكروبات الهيضه التي اضعفها وقلل من فعاليتها ولكنه رغم تطعيمه مثل هذا العدد الكبير لم ينجح فيه نجاحاً كلياً وهكذا تسابق العلماء من جديد الى ان توصل العالم الالماني روبرت كوخ مكتشف المكروب الى ايجاد المصل الوافي منه بطريقته العلميه المضبوطه بمعاونة عالم المـاني آخر يدعى كوله وذلك من مكروبات المرض الميته بطريقة خاصه وقـد جرب مصله هذا الاول مرة عام ١٩٠٧ في اليابان في معالجة ٧٨٠٠٠ نسمه وكان النجاح باهراً وفي العالم نفسه والذي تلاه جرب في روسيا في تطعيم ٤٥٠٠٠ نسمه كان النجاح فيه باهراً ايضاً ...

لقد انتشر هذا الوباء في الحرب العالمية الاولى في كثير من اقسام اوربا انتشاراً فضيعاً كعادته . ففي صربيا مثلا من مقاطعات يوغسلافيا كانت عدد الاصابات ١٢٠٠٠ وبلغت الوفيات يومياً ٣٠٠ نسمه، الا ان الإصابات في المناطق الالمانيه الموبؤه كانت اقل من سابقتها بكثير جداً ففي سيلسيا الالمانيه لم يتفش كعادته وبلغت مجموع الاصابات في المـانيا في تلك الحرب العالميه الاولى ٣٣٠٣ انتقلت من الخارج وكان عدد الوفيات من هذه الاصابات ١٦٩٣ . كل ذلك بفضل الاستعدادات الطبيه التي قام بها الالمان في تلك الحرب .

وبهذه المناسبه حدثني العالم الالماني الاستاذ « ولفكانك كابل » قصة في هذا الباب هي اقرب للخيال منها الى الواقع هذا نصها في عام ١٩١٨ رجعنا من الجبهة الروسيه الى برلين وكانت الحاله الاقتصادية على اسوأ حال والاسابيع تتلو الاسابيع ونحن لم نذق طعماً لأي نوع من اللحوم فكتبت الى صديق لي على الحدود البولونيه طالباً اليه ان يهرب لنا خنزيراً الى برلين لنتعم بلحمه وفعلا تم ذلك واقمنا الولائم ابتهاجاً بذلك واذا بنا نصاب على اثر هذه النعمه انا ومن شاركنا فيها باسهال .. ونقلنا بسببه الى المستشفى وكان عـددنا يربو على الثلاثين فبدأت الفحوص الطبيه تجرى واستمرت التحريات للوقوف على سبب هذا التسمم واخيراً كشف النقاب عن هيضة غيرانها ولله الحمد لم تسر لغيرنا ممن لم يحضر هذه الولائم الدسمه كما انها لم تكلف احدا منا حياته ...

ولو رجعنا الى هذه الحرب العالميه الاخيرة ٣٩ — ٤٥ للوقوف على ماخلفه هذا الوباء الخطير من آثار لما وجدنا له ذلك التأثير الكبير الذي تركه في الحرب العالميه الاولى ذلكم بفضل ما اتخذ له من الاحتياطات وما حسب له من حساب ففي المـانيا مثلا لم تسجل الاحصاءات غير مئة حادثه بتأثير هذا الوباء . . . وكان سببها انتقال الاسرى وهكذا الامر في باقي الدول .

ايها السادة . ليس هناك وباء يبعث الرعب في قلوب الجميع صغاراً وكباراً كهذا الوباء الخطير . وليس هناك من الاوبئه والامراض مايكسر المعنويات ويقضي على الامم والشعوب كهذا الوباء . وليس هناك وباء يخلف الآثار الموجعـه والذكريات المفجعه كهذا الوباء . وعسى ان نوفق في حديثنا القادم لبيان مايجب عن وصفه وكيفية انتشاره وطرق العلاج والوقايه. وقانا الله شره وحفظ امتنا من خطره انه ولي التوفيق

بغداد — الدكتور ابراهيم السماع

البيان — العدد ٤٠ — التاريخ ١٥ / ٢ / ٩٤٨

اعلان

كل من يدعي حق التملك او له علاقة بالدار المرقمـه ١٥/٢١ ت ١٢٩٥ الواقعة في محلة العباسية المحدودة شرقا الطريق العام شمالا دار اكبر بن غلام حسين ت ٢/٧٤٣ غربا دار خاج اسماعيل اصغر ١٠/١٢١ ت ٧٥٢ ودار ورثة زنوبة بنت علي ١٠/١٤٢ ت ٧٥٤ جنوباً الطريق العام عليه ان يراجع دائرة الطابو مستصحباً اوراقه المثبتة ومستمسكاته الرسمية من تاريخ نشره لمرور ثلاثون يوما والا سيجري تسجيلها مجدداً باسماء ورثة الحاج حسن بن علي حسن باعتبار اثني وثلاثون سهما منها تسعه عشر سهما الى ملوك بنت حاج حميد بن علي واربعة اسهم الى خليل بن ابراهيم وتسعة اسهم الى بيبي بنت خليل من العراقيين .

طابو كربلاء

١ — ٣